انتشار اللغة العربية كان :
نتيجة حتمية للفتوح الاسلامية

للأستاذ إبراهيم حركات

الرباط

1) ان انتشار اللغة العربية نتيجة حتمية للفتوح الاسلامية ونشر الاسلام . ولكن ينبغي أن ندخل في الاعتبار . 1) استعمال اللغة العربية كلغة للكتابة وقراءة القرآن . 2) انتشار العربية كلغة علم وثقافة .

فبالنسبة للنقطة الاولى سادت العربية كلغة لتدريس القرآن وكخط تكتب به لغة اخرى كما في الباكستان وتركيا (قبل عهد مصطفى كمال) .

وبالنسبة للعربية كلغة علم وثقافة فقد تمكنت من فرض نفسها في جميع الشعوب التي فتحت لها صدرها . وانما حدث ذلك طبعا عن طريق الفتوح ودخول عدد من الشعوب طواعية في الاسلام بواسطة الدعوة ، ولولا الاسلام لبقيت العربية كصورة في نطاقها الضيق ، ولولا ان لغة القرآن هي العربية ، لما وجد الاسلام ايضا انصارا كثيرين .

والسبب بسيط وهو **ان تعاليم الاسلام انما كان مصدرها الرئيسي هو القرآن** وحيث انه نزل بالعربية فقد تحتم على كل من اقبل في الماضي على الاسلام ان يدرس العربية ليحفظ القرآن ويفهمه ، وليس الامر كذلك في الانجيل والتوراة اللذين حرفا وكانا في معظمهما من اسلوب اشخاص متأخرين عن عيسى وموسى عليهما السلام .

ولا جدال في ان المسيحية لم تنتشر اكثر من الاسلام الا عن طريق الاستعمار أولا ، ثم بواسطة التبشير ثانيا ، ولا يسمح المقام مع الاسف بأكثر من هذه الاشارة حول المقارنة بين انتشار الاسلام والمسيحية .

2) مبدئيا ، ليس من الضروري ابدا أن يكون لمجموعة من الشعوب والدول التي تعتنق نفس الديانة لغة واحدة ، ولو أن وحدة اللغة بالنسبة لهذه المجموعة تزيد في تقوية روابطها في جميع المجالات : في الثقافة والاقتصاد والتعارف الانساني الخ ..

فنحن نرى مثلا ان المسيحية تشكل مجموعة من الاجناس والشعوب في كل قارات العالم وليس بينها اية وحدة لغوية ، والبوذية تنتشر في بضع دول من الشرق الاقصى وليس بينها اية روابط لغوية .

غير أن الاسلام يمتاز بميزة اجمع عليها كل الذين درسوا بشيء من التعمق ، القرآن الكريم الا وهي أن الكتاب المقدس يجمع بين التوجيه الروحي والعملي في الحياة . وبالتالي فالاسلام دين سياسي وحضاري وروحي ، ولكي يعرف الاسلام على حقيقته ويهتدى بهدي أعلامه وأئمته لابد من الاطلاع العميق المباشر على علومه الخاصة من فقه وأصول وقراءات وما الى ذلك ، **وهذه العلوم لغتها هي العربية ، وليس لغير الاسلام من الديانات السماوية هذه العلوم** . وكل هذه المواد يجب ان تأخذ طريقها جنبا لجنب مع علوم الفضاء والذرة وسائر العلوم البحت ، بقدر يتدرج على مختلف مراحل التعليم ، مع اعادة النظر في مضمونها وطرق تبليغها ، ولو كانت العربية اللغة الاولى لنشر الوعي الاسلامي بين دول الاسلام لكان الوعي الديني اقوى وأعمق مما هو الآن ، حيث يدخل الى دين الاسلام عدد من الاجانب ، واكثرهم لا يعرف عنه الا الشكليات ، لانه يجهل لغته الاساسية . ويستحيل أن تخوض أسرار هذا الدين على نطاق شامل لغة غير العربية .

والمغرب نفسه كدولة اسلامية قد تفتقر فيه الوعي الديني لاسباب كثيرة ، منها أن اغلب الذين انيط بهم نشر هذا الوعي بقوا دون المستوى علما بلغتهم ، كما لم تتجدد الطرق ولا الاساليب فى اقرار الوعي الاسلامي على جميع المستويات ، خصوصا في المعاهد والمؤسسات التعليمية ، ومن جهة اخرى فمعرفة العربية وحدها لا تكفي فى تغيير نظرة الشباب الصاعد الى الاسلام والتوجيه الديني بوجه عام ، ومن ثم فالذي يناط به التوجيه الديني ونشر الوعي فى نطاق اللغة العربية ، يجب :

1) ان يتقن لغة القرآن وعلومه .

2) ان يتوفر على ثقافة عامة ولو بنصيب محدود.

3) ان يحيط علما بمضمون تاريخ الديانات السماوية الاخرى عن طريق لغة اجنبية أو اكثر .

4) ان يتتبع عن كثب ، اهم ما يقال عن الاسلام ويحاول الربط بين العلم والدين من غير تعصب .

فكم لدينا فى المغرب والعالم الاسلامي من مثل هذا النموذج للدعوة الاسلامية ؟

3) أما معرفة مدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن فى اللهجات واللغات الاقليمية فى الاقطار الاسلامية أو لدى الجاليات الاسلامية ، فهو موضوع لبحث واسع يحتاج الى تضافر الهيئات والمنظمات المجمعية التي لم تقم بعد بمثل هذه الدراسة المركزة فى ميدان اللهجات المقارنة ، فالجواب الفردي والحالة هذه ، بمجرد حكم عام ، ربما كان سابقا لاوانه ، ومع ذلك فالسؤال وجيه يلفت النظر الى موضوع لم يكد يهتدى اليه احد . مهما كان الامر فقد حملت العربية الى كل الاقطار الاسلامية كميات كبيرة من المصطلحات اكتسحت لغات اخرى كان لها ارتكاز اعظم من قبل كالفارسية والتركية ، كما دخلت الى اقطار غير اسلامية كايطاليا واسبانيا المسيحية ، وتوزعت مجموعة من مصطلحاتها لغات أخرى كالفرنسية والانجليزية والبرتغالية ، وكانت هذه المصطلحات فى ميدان الفلسفة والشريعة والفلاحة ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، غير أن الاقطار الاسلامية ذات اللغة غير العربية أخذت بنصيب اكبر كفارس وافغانستان ، وكذلك الشأن عند الجاليات الاسلامية كما فى الهند وروسيا ويوغوسلافيا .

واذا تحدثنا عن مدى تأثير اللهجات الاقليمية نفسها فى اللغة العربية الدارجة فالامثلة تحتاج الى دراسة واسعة ولنأخذ مثال المغرب ، فاللهجة الاصلية به هي البربرية وهي بدورها تشكل عدة لهجات وقد كان التفاعل قائما بين هذه اللهجات اقوى واشمل، وللتأكد من ذلك يكفي الاستماع الى اي حديث يجري بالبربرية والعربية المتداولة ، ولكن لا جدال فى تأثير العربية نفسه فى هذه اللهجات ، وللمستشرقين في ميدان اللهجات البربرية من الدراسات ما يؤكد ذلك (دراسات روني باسي) و (كولان ووليام مارسي وفيليب مارسي وغيرهم) .

4) اما فى هذه المكانة التي يجب ان تحتلها العربية بالنسبة للغات الاجنبية ، فيجب طبعا **أن يكون للعربية المكانة الاولى حتى فى الميدان العلمي** ، ولكن يجب الاهتمام بتوحيد المصطلحات انطلاقا من الجهد الطيب الذي تبذله الجامعة العربية عن طريق المكتب الدائم للتعريب ، غير انه يلزم أن لا تكون العربية وحدها ، بل يجب دراسة اكبر قدر ممكن من اللغات التي توسع هي نفسها آفاق العلوم النظرية والتطبيقية .